رمضان في بريطانيا:
ملاذ روحي في مجتمع علماني

> لندن – كارين دابروفسكي

يسود شارع اجور في لندن خلال شهر رمضان جو من الأعياد. وهذا الشارع الذي يمتد لنحو ميل من ساحة ماربل آرج إلى منطقة ميدا فيل هو الشارع العربي في لندن.

مسجد لندن المركزي
London's Central Mosque

المطاعم فيه، ومعظمها لبنانية، والمقاهي المتميزة برائحة دخان الشيشة المتلبسة بهواء أماسي الخريف اللطيفة، هي الملتقى المفضل للأصدقاء والعائلات. وتتنوع المناقشات فيها من المواضيع الدينية إلى الحوارات السياسية الساخنة التي تدار بأدب.

وعلى مقاعد بالقرب من النافذة في مطعم حلال، جلس علاء وافتكار من العراق ومحسن من كشمير لمناقشة مشروع مشترك بروح ودية. وكان بقية الزبائن يحتسون الشاي ويتابعون الأخبار عبر إحدى الفضائيات.

والمطاعم الراقية، مثل مروش، توفّر ألوانا مختلفة من الأطباق النباتية والزلاطة وأنواع المرق التي تطبخ بمجموعة من البهارات الغريبة. والمزة اللبنانية المعروفة عالميا هي الطبق المفضل. وتحتوي المزة اللبنانية على مجموعة من المشهّيات، هي: الزيتون، والأجبان، والبابا غنوش. وهناك أيضا الشانكليش وهو عبارة عن جبنة الماعز مع البصل والطماطم والزيت، والكبة النيئة، وهي اللحم المطروق مع القمح. أما المقبلات الساخنة فهي تضم: الفلافل التي تعمل من الحمص والفول والكرفس، وأجنحة الدجاج مع صلصة الثوم أو المقانق كثيرة التوابل. وتشمل الأطباق الرئيسية اللحم المطبوخ بالفرن ببطء مع التوابل واللبن، والصيدية، وهي طبق سمك يقدم مع الأرز والبصل وصلصة طحينية. وتقدم الأطباق برفقة خبز خال من الخميرة.

Marouch: one of the many Lebanese restaurants in Edgware Road
مروش: واحد من مطاعم لبنانية كثيرة في شارع اجور

A worshipper at London's Central Mosque
مصلي في جامع لندن المركزي

Saeed (left) and Kameran: "Ramadan is a time for family and friends to get together"
سعيد (من اليسار) وكاميران: "رمضان موسم اجتماع العائلة والأصدقاء"

والمطاعم الأكثر تواضعا، مثل عصير رنوش، متخصصة في الأكلات السريعة. وهناك محلات صغيرة تعرض حلوى تسيّل اللعاب، وهي مرصوفة في شكل تلال تصل إلى السقف، وأكثرها شعبية هي البقلاوة.

ويسعى جميع الطباخين والعاملين في هذه المحلات إلى إرضاء زبائنهم. وحتى تشكيلات الزلاطات المتواضعة مرتبة بشكل أنيق وهي تقدم مع الابتسامة والترحاب من القلب.

ويعرض شارع اجور صورة مصغرة لشهر رمضان في بريطانيا. وقد كوّن مسلمو البلد، وهم نحو 1.8 مليون مسلم، يُصلُّون في نحو 584 مسجدا، محيطا روحيا آمنا وسط مجتمع علماني في معظمه وحيث روح رمضان تخلق جوا فريدا وتتيح فرصة التعرف السريع على الثقافة الإسلامية. وأكبر جالية إسلامية هي في لندن، وغرب الميدلاندز (وسط البلاد)، وغرب مقاطعة يوركشاير، ولانكشاير ووسط اسكتلندا. والمساجد هي محل صلاة الجماعة حيث يشارك المصلون في البرامج الخاصة برمضان، وعادة ما يقدم لهم الإفطار.

ومثلما هو حال المساجد في البلاد، فإن مسجد لندن المركزي، وهو واحد من أكبرها، له برنامج خاص برمضان. وهذا المسجد صرح رائع، صممه فريدريك جيبرد واستكمل بناؤه في عام 1978, وله قبة ذهبية كبيرة ومصلى كبير يتسع لنحو ألفين من المصلين. ولكن بعد دورة الألعاب الأولمبية لعام 2012 في بريطانيا، لن يكون رمضان في بريطانيا كما قد عرف سابقا. فهناك اقتراح بانشاء مسجد ضخم يتسع لنحو 40 ألف مصلي ينشأ إلى جوار مجمّع الألعاب الأولمبية. ويأمل داعمو المشروع بأن يتسع المسجد والمباني المحيطة به لنحو 70 ألف شخص، أي أقل من سعة الملعب الأولمبي بنحو 10 آلاف شخص.

وقد صمم المسجد بملامح مستقبلية تتضمن توربينات هوائية بدلا من المآذن التقليدية، وسطح مشبك شفاف بدلا عن القباب التي ترى في معظم المساجد.

الثقافة و"ما أعتدنا عليه في بلادنا" تؤثر على نوع الغذاء الذي يقدم وأنشطة ما بعد الإفطار. هناك 700 ألف من مسلمي بريطانيا من أصل باكستاني، ونحو 250 ألف من أصل بنغلاديشي، 300 ألف من أصل هندي، و350 ألف عربي وأفريقي، ونحو 16 ألف من المسلمين البريطانيين هم من أهل البلاد الأصليين والافرو-كاريبيين ممن اعتنقوا الإسلام.

وتقوم الجمعيات الأهلية والنوادي بتنظيم البرامج الثقافية والاجتماعية. كما أن الجمعيات الطلابية الجامعية في عموم بريطانيا، مثل كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، تقدم الإفطار وإجراء محاضرات رمضانية. وقام

طلاب الجمعية الإسلامية في الكلية بتشجيع يوم وطني للصوم ليوم واحد "في محاولة لتشجيع غير المسلمين على فهم هذا الدين الجميل وجمع الأموال للمشاريع الخيرية".

وتجلب الفضائيات البلد المهاجر منه إلى البيوت والمطاعم في لندن وتعرض برامج دينية وتلاوات للقرآن. القناة الإسلامية تنقل من مكة، وبشكل مباشر، صلاة الجمعة. "هذا أمر فريد وثمين جدا، فالفضائية هي هدية رمضان". كما تقول مسؤولة القسم السياسي في القناة، إيفون ريدلي.

لقد ازداد حجم الجالية الإسلامية في بريطانيا ويزداد وعي المجتمع المضيّف للممارسات الدينية الإسلامية. والمحلات التجارية في الأسواق العامة هي الآن تبيع بطاقات العيد، كما أن وزيرة الخارجية مارغريت بيكيت قدمت تهنئتها بمناسبة شهر رمضان مشيرة إلى أن الإسلام هو في حقيقة الأمر جزء من تاريخ بريطانيا والتعددية الثقافية للمجتمع البريطاني. وقالت "إن الحكومه ملتزمة بالعمل مع الجالية الإسلامية لضمان التخلص من الجهل بهذا المعتقد العظيم".

وفي سابقة هي الأولى لبلدية لندن، أقام عمدتها ورئيس المجلس الإسلامي في بريطانيا حفل استقبال رمضاني في قصر "مانشن هاوس" وهو دار الإقامة الرسمية للعمدة. واعترافا بزيادة مشاركة البريطانيين المسلمين في النمو الاقتصادي والتنمية في بريطانيا واحتفالا بالتفاعل المتزايد بين المسلمين وغير المسلمين في المدينة، فقد دعي ضيوف من جميع الأديان للمشاركة والتحاور مع بعضهم البعض الآخر والاحتفال بالتنوع.

كاميران هو كردي عراقي صاحب محل حلاقة "بابل" في شارع اجور علق بأن بريطانيا من نواح كثيرة، مثل نظام الضمان الاجتماعي والتقاليد الديمقراطية، قد حققت مبادئ الدولة الإسلامية. وأكد رفيقه سعد أن رمضان هو المناسبة التي تتيح للأصدقاء الجلوس مع بعضهم والأكل سوية. "نحن نشتاق للأصدقاء". وشهر رمضان هو فوق كل ذلك مناسبة للعوائل لأن تشترك في وجبة الأفطار وقضاء الوقت معا.

وقال كاميران بافتخار: "تطبخ أمي ألوانا خاصة، أحيانا مع المشمش المجفف، واللحم، والأغذية التقليدية، مثل ورق العنب والأرز، ويعود هذا الطبق إلى خمسة آلاف سنة".

ويقدم ماروش بسلسلة مطاعمه اللبنانية الأربعة عشر قمر الدين، وهو شراب من المشمش المجفف، مجانا إلى زبائنه، كما أنه يقدم عصير تمر الهند أيضا مجانا.

وأوضح فاي بيائيني، محاسب يعمل مع مطاعم مروش: "لا يمكننا في لندن تقديم أطباق كبيرة، مثل خروف مشوي بوزن 50 كيلو مع الكثير من الأرز". وأضاف إن "كل جالية من جاليات الشرق الأوسط لها تقاليدها الخاصة وأطعمتها- مثلا يفضّل المصريون الحليب مع التمر، والعرب الذين يأتون إلى شارع اجور يبحثون عن عمل، نلتزم بمساعدتهم، خاصة في رمضان، فهو شهر مقدس مطلوب منا فيه العطاء وليس الإنانية. وينبغي أن نساعدهم بالغذاء، والعمل، وكل ما يحتاجون إليه".

افتكار، التي غادرت بغداد منذ ست سنوات، تتكلم بحنين عن العراق "حيث كنا ننتظر نداء الله أكبر كي نفطر". وتقول، متأملة في الغرض من رمضان:إن هناك الكثير الكثير من الجوانب في الصيام غير الامتناع عن الأكل أو الشرب، فهو أيضا يعني "عدم الكذب أو السرقة وأن تكون تام الأخلاق".

وقال صديقها محسن من كشمير: "إنه تأكيد للعهد على التزامك بالعيش وفق القيم الأخلاقية وضبط النفس والاستقلال بارادتك عن المجتمع المادي. نحن نجد كل شيء تحت تصرفنا، وفي رمضان نؤكد أن إرادتنا أقوى من الاستهلاك والنزعات المادية".

وتقول تقارير الجمعيات الخيرية الإسلامية إن هناك زياده في التبرعات في شهر رمضان، ويقوم نجم الغناء البريطاني السابق كات ستيفنس (يوسف إسلام بعد اعتناقه الإسلام) بإحياء حفلة نادرة من أجل جمع التبرعات الخيرية.

قالت افتكار:"المسلمون من جميع أنحاء العالم يشتركون في نفس التجربة في رمضان"، وأضافت:"إنهم متحدون بالتضحية التي يقدمونها". ■

Alaa, Mohsin & Aftekar: eager to emphasise the spiritual significance of Ramadan

آلاء، ومحسن وافتكار حريصون على تأكيد القيمة الروحية لرمضان

Sami from Lebanon: "Ramadan is alright in London"

سامي (من لبنان): "رمضان معقول في لندن"